تمظهرات المفارقة في تشكيلات بعض أساليب الطَّلب

"دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ عَلَى نَمَاذِج مُخْتَارَةٍ مِنْ شِعْرِ رِثَاءِ مُدُنِ الأَنْدَلُسِ"

عوَّاد بن ملفي بن زايد الشَّمِّري

محاضر في جامعة حائل

المستخلص

تعدُّ المفارقة في تشكيلات الأساليب الإنشائيَّة من الاستراتجيَّات الَّتي يعمد إليها الشُّعراء في إيصال الفكرة والمعنى فضلًا عمَّا تمتاز به من قيمة فنيَّة وجماليَّة.

وهذه الدِّراسة تقوم على محاولة رصد ملامح تلك المفارقة، واستنباط سماتها من خلال منهج استقرائي تحليلي اختارت له نماذج من شِعر رثاء مدن الأندلس، ذلك الشِّعر الَّذي جمع بين وحدة المكان وغزارة الإيحاءات التَّاريخيَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة.

Abstract

The paradox in the formations of structural methods is one of the strategies that poets intend to convey the idea and the meaning, in addition to its technical and aesthetic value.

This study is based on an attempt to monitor the features of this paradox, and to derive its features through an inductive and analytical method chosen for it by models of the poetry of the lamentations of the cities of Andalusia, that Poetrywhich combined the unity of place and the abundance of historical, social and political revelations

مقدِّمة

تضفي المفارقة على النَّصِّ الأدبي أبعادًا جماليَّة لا حصر لها، ولعلَّ من أبرز ما يجلب عناية الباحثين إلى دراسة هذا المنحى الأسلوبي والبلاغي، هو ما يحتاجه هذا المنحى من جهد وكدِّ ذهن في استخراج تلك التَّناقضات الدَّفينة في أعماق النُّصوص، ولكدِّ الذهن أثره الطِّيب في تجويد الأديب لأدبه وفي تعلُّق القارئ بذلك الأدب.

وقد نوَّه عبد القاهر الجرجاني عن ذلك الأثر الطِّيب، لكدِّ الذِّهن، وما له من قيمة في الإعلاء من قيمة النُّصوص ــسواء عند المبدع أم عند متلقِّي الإبداعــ في قوله: "هذا وإن توقَّفتَ في حاجتك أيُّها السَّامع للمعنى إلى الفكر في تحصيله، فهل تشكُّ في أنَّ الشَّاعر الَّذي أدَّاه إليك، ونشر بزَّه لديك، قد تحمَّل المشقَّة الشَّديدة، وقطع إليه الشُّقَّة البعيدة، وأنَّه لم يصل إلى دُرِّه حتَّى غاص، ولم ينل المطلوب حتَّى كابد منه الامتناع والاعتياض؟"[1]، ثمَّ يضيف وهو المهم "ومعلوم أنَّ الشَّيء إذا عُلم أنَّه لم يُنَل في أصله إلَّا بعد التَّعب، ولم يُدرك إلَّا باحتمال النَّصب، كان للعلم بذلك من أمره الدُّعاء إلى تعظيمه، وأخذ النَّاس بتفخيمه، ما يكون لمباشرة الجهد فيه، وملاقاة الكرب دونه"[2].

ونعود إلى بلاغة المفارقة لنقول: إنَّها تقنيَّة "من أبرز التقنيَّات الإبداعيَّة في النِّص الأدبي، بوصفها أسلوبًا من الأساليب الَّتي تمنح الخطاب نوعًا من التَّميِّز والاستقلاليَّة، إذ إنَّ ذلك التَّصادم الَّذي تحدثه المفارقة في النَّصِّ بين ما هو واقع، وما هو متخيَّل، يجعل المتلقِّي في دهشة كبرى، ويوقعه في نوع من الارتباك والتَّردُّد"[3].

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمَّد شاكر، ط ١، (جدَّة، دار المدني، ١٤١٢هـ=١٩٩١م)، ١٤٥.

(٢) المرجع السَّابق.

(٣) عمر عبد العزيز المحمود، تقنية المفارقة ومسافات التَّوتر، صحيفة الجزيرة الثَّقافيَّة، العدد ٣٦٤، ربيع الآخر (١٤٣٣هـ).

وقيل كلام كثير عن مفهوم المفارقة، إلَّا أنَّ السِّمة البارزة في عرض ذلك المفهوم هو قولهم: إنَّ "مسألة إيجاد تعريف محدَّد لهذا المصطلح المراوغ العصي على الفهم، يعدُّ مسألة غاية في الصُّعوبة، نظرًا لتاريخه الطَّويل المتشعِّب، واتِّخاذه لمعاني جديدة في سياقات مختلفة وعصور مختلفة"(١)، فهذا القول يكاد يكون متكرِّرًا عند جلِّ الباحثين الَّذين درسوا المفارقة إنْ تنظيرًا وإنْ تطبيقًا، غير أنَّه قول يأخذ صورًا لغويَّة تختلف حينًا وتلتئم حينًا آخر.

ولعلَّ تعريف المفارقة بأنَّها "بنية أسلوبيَّة موضوعها الأساس هو التَّضاد، ووظيفتها الرئيسة هي تحقيق الدَّهشة لدى المتلقِّي من خلال كسر توقُّعاته، وتحتلُّ حدًّا فاصلًا بين حدِّين، وتفصح عن نفسها من دون أن تُذكر صراحة، بل يلجأ القول إلى التَّلميح والإشارة"(٢)، هي أقرب ما قيل في مفهومها إلى طبيعة ما نحن في صدده، من حيث إنَّ هذه الدِّراسة تعتمد في بحث بلاغة المفارقة على محوري: التَّضاد بين التَّراكيب في الأسلوب الإنشائي الواحد، وعلى محور كسر أفق توقُّعات المتلقي في تلك التَّراكيب.

ثمَّ إنَّ المفارقة حاضرة في شِعر رثاء مدن الأندلس حضورًا بارزًا، فقد كان شُعراء رثاء مدن الأندلس "يأتون بالشَّيء ونقيضه في قصائدهم، أو يصورون صورًا عديدة للمدينة الأندلسيَّة في مختلف ميادين ازدهارها، وشتَّى أنواع حضارتها، ثمَّ يأتون بنقيض هذه الصُّور، بعد أن تحوَّلت إلى دمار وخراب، أو تحوَّلت إلى أشياء مناقضة لما كان فيها"(٣).

---

(١) نوال صالح، مصطلح المفارقة في الوعي البلاغي العربي بين الحضور والغياب، مجلَّة العلوم الإنسانيَّة بجامعة محمَّد خيضر بسكرة، العدد ٢٣ (نوفمبر ٢٠١١م)، ٤٥٦.

(٢) محمَّد ونَّان جاسم، المفارقة في القصص الستيني العراقي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصريَّة، العراق، (٢٠٠٠م)، ٦٢.

(٣) عبد الله محمَّد الزِّيَّات، رثاء المدن في الشِّعر الأندلسي، ط ١، (بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ١٩٩٠م)، ٦٣٥.

ونحن ــ بحكم موضوع دراستنا ــ معنيُّون بالبحث عن صور المفارقة الَّتي تتَّخذ من التَّشكيل الطَّلبي مظهرًا لغويًّا لها، وبعد بحث وتقصٍّ، وجدنا أنَّ بعضًا من تشكيلات الأسلوب الطَّلبي تتمظهر فيها سمات بارزة للمفارقة والتَّضاد والتَّناقض، لاسيَّما أسلوب الاستفهام الإنكاري والتَّعجُّبي، وأسلوب النِّداء الَّذي يخرج إلى معاني الحسرة، كما وقفنا على شاهد واحد لأسلوب النَّهي ظهرت فيه إحدى سمات المفارقة، وهي سمة كسر أفق توقُّع المتلقِي.

وقد اعتمدت الدِّراسة في معالجة هذا الموضوع على استقراء الأساليب الإنشائيَّة في نماذج مختارة من شعر رثاء مدن الأندلس واستنباط ما فيها من مفارقات، ومن ثمَّ إخضاعها للدِّراسة والتَّحليل البلاغي.

هذا، وينصرف حديثنا في هذا البحث إلى دراسة ثلاثة أنماط رئيسة للمفارقة وُضِعت في مباحث ثلاثة تمثِّل محاور الدِّراسة، والمباحث هي: المفارقة اللَّفظيَّة، ومفارقة الحكاية والإيهام، ومفارقة المفهوم أو التَّصوُّر، وفيما يلي مقاربة تحليليَّة لهذه الأنماط.

المبحث الأوَّل: المفارقة اللَّفظيَّة

تتأسَّس المفارقة اللَّفظيَّة على التَّضاد بين الألفاظ، كالتَّضاد بين لفظي: أبيض، وأسود. كما تتأسَّس ـأيضًاـ على المجاز، كأن تسمِّي الشَّيء بغير اسمه لعلاقة (ما)، مثلما هو الحال في المجاز المرسل على سبيل التَّمثيل، وذلك كأن تسمِّي الشَّيء بما كان عليه.

والمفارقة الَّتي تقوم على المجاز تكشف عن قوَّة العلاقة بينهما، وهذه القوَّة في العلاقة هي ما أشار إليها (آبرامز) ـبحسب ما نقل عنه الدَّكتور محمَّد العبدـ من "أنَّ المفارقة اللَّفظيَّة كانت تصنَّف تصنيفًا تقليديًّا على أنَّها إحدى صور المجاز"(١).

وما تتأسَّس عليه المفارقة من تضاد أو مجاز، هو الأساس الَّذي بنت عليه سيزا قاسم تعريفها للمفارقة اللَّفظيَّة، وذلك في قولها: "والمفارقة اللَّفظيَّة ـفي أبسط تعريف لهاـ هي شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى (ما)، في حين يُقصد منه معنى آخر، غالبًا ما يكون مخالفًا للمعنى السَّطحي الظَّاهر، ومن جانب آخر نجد المفارقة اللَّفظيَّة أعقد كثيرًا من هذا التَّعريف، حيث إنَّها تتحقَّق في مجموعة من المستويات، ويجتمع فيها أكثر من عنصر، فهي تشتمل على عنصر يتعلَّق بالمغزى ... هو مقصد القائل. وهذا العنصر قد يتراوح في درجات عنفه وقوَّته بين العدوان العنيف والتَّدليل اللَّين، وتشتمل كذلك على عنصر لغوي ... أو بلاغي هو عمليَّة عكس الدَّلالة، ويتمثَّل هذا العنصر في شكل المغايرة"(٢).

فقولها: "... يساق فيه معنى (ما) في حين يقصد منه معنى آخر ..." يمثل الأساس الأوَّل الَّذي تقوم عليه المفارقة اللَّفظيَّة ونعني به المجاز، وأمَّا الأساس الثَّاني الَّذي تقوم عليه المفارقة وهو التَّضاد بين الألفاظ فإنَّه يتمثَّل في قولها: "... هو عمليَّة عكس الدَّلالة ويتمثَّل هذا العنصر في شكل المغايرة".

---

(١) محمَّد العبد، المفارقة القرآنيَّة: دراسة في بنية الدَّلالة، ط ١، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م)، ٧١.

(٢) سيزا أحمد قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلَّة فصول، العدد ٦٨، (٢٠٠٦م)، ١٠٦.

هذا، ومصطلح المفارقة اللَّفظيَّة غير متَّفق عليه، حيث نجد من يسمِّيها بالمفارقة الإفراديَّة، ويُعلِّلُ لهذه التَّسمية بأنَّ المفارقة اللَّفظيَّة "لا تعني فقط التَّضاد بين لفظين مثل: (اللَّيل والنَّهار)، ولكنَّها تتَّسع لتشمل استعمال اللُّغة بشكل مراوغ، أو نقل الكلمة من حقلها الدَّلالي إلى حقل دلالي مناقض، وعلى ذلك فهذه المفارقة تتحقَّق في مساحة ضيِّقة من الجملة تبدأ بين المفردتين، ثمَّ تتَّسع لتشمل مفردات كثيرة، وعندها يتحوَّل سياق القصيدة كلِّها إلى بناء تغلِّفه المفارقة"[(١)].

وهذا النَّوع من المفارقة، في شِعر رثاء مدن الأندلس، يظهر في بعض تشكيلات الأسلوب الطَّلبي، كأسلوب الاستفهام، وتظهر المفارقة في هذا الأسلوب في المفردات الَّتي تتشكَّل منها جملة الاستفهام كالتَّضاد فيما بين مكوِّناتها، ومن شواهد المفارقة اللَّفظيَّة الَّتي تتَّخذ من أسلوب الاستفهام شكلًا لغويًّا لها، ما قاله ابن عميرة وهو في سياق حنينه إلى الأيَّام الخوالي في مدينته (شُقْر) متمنيًّا عودتها، فيقول متمنيًّا ومستفهمًا[(٢)]:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي والأَمَانِيُّ ضَلَّةٌ وَأَكْثرهَا قَدْ عَوَّدَتْنَا كِذَابَهَا

أَوَاصِلَتِي الأَيّامُ بَعْدَ قَطِيعَةٍ أَطْلَتْ عَلَيْهَا لُومَهَا وَعِتَابَهَا

حاول الشَّاعر في البيتين أن ينقل معاناته مع أوضاع واقع مدينته، فهو لا يدري إن كانت الأيَّام الماضية، وهي بالضرورة أيَّام أنس ورخاء، يمكن أن تعود إلى ما كانت عليه أو لا تعود.

وأفصح البناء التَّركيبي لجملة الاستفهام في البيت الثَّاني عن مفارقة لفظيَّة وضَّحت التَّناقض في علاقة الشَّاعر بالزَّمن متمثِّلًا بأحد أجزائه وهي الأيَّام، فهو يتمنَّى أنَّ الأيَّام تصله، وكان يمكن الاكتفاء بهذه المفردة؛ لأنَّ المعنى مفهوم، فعندما

---

(١) مروة محمود الشَّرقاوي، المفارقة والقناع في الشِّعر العربي المعاصر، ط ١، (طنطا: دار النَّابغة، ١٤٣٧هـ=٢٠١٥م)، ٦٥ و٦٦.

(٢) الزِّيات، مرجع سابق، ٦٨٦.

تتمنَّى أن يصلك شخص (ما) فهذا يعني أنَّه لا يصلك ومن أجل هذا تتمنَّى أن يصلك، غير أنَّ الشَّاعر في توظيفه للتَّضاد بين (قطيعة) و(أواصلك) بالنَّصِّ عليهما صَعَدَ بالمفارقة إلى حيِّز صريح، هذا بالإضافة إلى أنَّ المفارقة أبرزت شكل العلاقة بين الشَّاعر وأيَّامه، فهي علاقة متوتِّرة غير مستقرَّة متردِّدة بين وصل وقطع.

فالطِّباق بين مادتي (وصل) و(قطع) هو مكمن المفارقة في بناء جملة الاستفهام السَّابقة، "وتنبع الوظيفة المحوريَّة للطِّباق ــوهو هنا المحقِّق للمفارقةــ من طبيعته الفنيَّة الَّتي تتيح لعلاقة الجمع بين الضِّدين أو النَّقيضين، في نسق واحد وسياق متَّصل، والجمع بين الضِّدين يكشف عن حقيقة كلٍّ منها بوضوح، ويبرز أهمَّ معالمها، ويضع يد المتلقي على أدقِّ ملامحهما، فبضدِّها تتميَّز الأشياء، لهذا نجد الطِّباق يوظَّف في السِّياقات الهادفة إلى تعرية حقائق الأشياء المتناقضة، وكشفها وميز كل منها، كما يوظَّف الطِّباق لإحداث تأثير على المتلقي لإقناعه بالانحياز إلى طرف ضدَّ نقيضه، وهذا التَّأثير يعتمد على ما يقدِّمه الطِّباق من إبراز الهوَّة البعيدة الفاصلة بين النَّقيضين"[(١)].

والتَّضاد بين (وصل) و(قطع) مكوِّن من مكوِّنات جملة الاستفهام الَّذي كشف عن معاناة الشَّاعر، من حيث إنَّ الاستفهام ــوما في مكوناته من تضادــ أبرز شكوك الشَّاعر بالأيَّام وحيرته معها، فلم يعد يدرك حقيقة وضعه: أتصله تلك الأيَّام أم تستمرُّ في قطيعتها؟

فالاستفهام كشف لنا عن رؤية يشوبها الحذر والشَّكُّ من حيث إنَّه يتمنَّى عودة تلك الأيَّام، وهذه الأمنية تتعارض مع ما سبق البيت من أبيات ظهر فيها سخط الشَّاعر وغضبه على مدينته (شُقْر)، فقال داعيًا عليها[(٢)]:

---

(١) محمَّد علي الشَّافعي، المفارقة في التُّراث البلاغي: صورها وأحكامها، مجلَّة كليَّة اللُّغة العربيَّة في جامعة الأزهر بالمنصورة، المجلَّد ٥، العدد ٢٦، (٢٠٠٧م)، ٣٣.

(٢) الزِّيات، مرجع سابق، ٦٨٥ و٦٨٦.

أَلَا لَا سَقَتْ غُرُّ الغَوادِي مَنَازِلًا طَمِعْنَا جَنَاهَا وَارْتَعِينَا جَنَابَهَا
بِلَادٌ بِهَا شَقَّ الشَّبَابُ تَمَايِمِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابَهَا
وَمَالِي اسْتَسقِي الغَمَامَ لِتُرْبَةٍ أَغَصَّتْ لِحَيَّاتِ الصَّلِيبِ لِصَابَهَا
وَشَرَّدَتْ التَّوحِيدَ تَشْرِيدَ سَاخِرٍ بِهِ وَعَلَى التَّثْلِيثِ أَرْخَتْ حِجَابَهَا
وَكُنَّا صَدَقْنَاهَا المَحَبَّةَ جُهْدَنَا فَمَاذَا الَّذِي مِنَّا مَع الحُبِّ رَابَهَا

هذا، ومن شواهد المفارقة اللَّفظيَّة، الَّتي تتَّخذ من أسلوب الاستفهام لباسًا لها، ما قاله أبو عمر بن المرابط، يستحثُّ فيها المسلمين على الجهاد[1]:

هَذِي الثُّغُورُ بِكُمْ إِلَيْكُم تَشْتَكِي

شَكْوَى العَدِيمِ إِلَى الغَنِيِّ الأَوْجَدِ

مَا بَالُ شَمْلِ المُسْلِمِينَ مُبَدَّدٌ

فِيهَا وَشَمْلُ الكُفْرِ غَيْر مُبَدَّدِ

ينبض البيتان بالحزن والأسى على حال المسلمين، فالثُّغور الإسلاميَّة تستنجد بالمسلمين وتشتكي إليهم شكوى المعدم إلى الغني، ومع هذا لا يستجيب أحد من المسلمين أو يتفاعل مع هذه الشَّكوى، فجاء الاستفهام الإنكاري المشوب بالتَّعجُّب والذُّهول متسائلًا عن تبدُّد شمل المسلمين في حين أنَّ شمل الكفَّار ملتئم.

(١) عبد الرَّحمن بن محمَّد ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمَّى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهما من ذوي الشَّأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، د. ط، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م)، ٢٦٤/٧.

والمفارقة اللَّفظيَّة في البيت الثَّاني، والَّتي تتَّخذ من أسلوب الاستفهام شكلًا لها، مبنيَّة على التَّضاد بين (مبدَّد) و(غير مبدَّد)، وإذا كان التَّضاد بلور شكل المفارقة فإنَّ الاستفهام الإنكاري التَّعجُّبي عمَّقها.

فالتَّشكيل اللُّغوي للمفارقة، المؤسَّس على إثبات تفرُّق شمل المسلمين واستثناء شمل الكفَّار من هذا التَّفرُّق، أظهر المفارقة بشكل واضح في بناء جملة الاستفهام، والشَّمل في لسان العرب مُجتَمعُ عددهم وأمرهم[1]، والمبدَّد المفرَّق، يقال: شملٌ مُبَدَّد. وبدَّد الشَّيء فتبدَّد: فرَّقه فتفرَّق[2]، فما كان محلًّا لاجتماع أمر المسلمين صار محلًّا لافتراقهم واختلافهم، ومحلًّا لالتئام شمل الكفار، فكشفت لنا هذه المفارقة عن الوضع المأساوي والمؤسف لمسلمي الأندلس.

فالشَّاعر يتَّخذ من المفارقة وسيلة لاستثارة المسلمين على الجهاد، فالتَّضاد مكون المفارقة ــوما فيه من تأثير على المتلقِّي بالانحياز إلى طرف ضدَّ نقيضهــ جمع بين نقيضين أحدهما سلبي والآخر إيجابي، فأثبت الشَّاعر الطَّرف السَّلبي للمسلمين، وأثبت الجانب الإيجابي للكفَّار، وفي الجمع بين النقيضين، وإثبات الجانب السَّلبي لشمل الشَّاعر، وإثبات الجانب الإيجابي لشمل الأعداء، إثارة ظاهرة وتهييج واضح.

ومن تلك التَّشكيلات الطَّلبيَّة، الَّتي تتمظهر فيها المفارقة اللَّفظيَّة، في شعر رثاء مدن الأندلس، أسلوب النِّداء، لاسيَّما عندما ينادي الشَّاعر الأندلسي داره، فهو عندما يناديها بلفظ (الدَّار) يقصد من ذلك التَّحسُّر على ماضيها؛ وذلك لأنَّه يُعقب نداء الدَّار بما يرشد إلى خرابها ووحشتها، فتتأسس المفارقة في مثل هذه التَّراكيب على التَّضاد بين الدَّلالة اللُّغوية للدَّار وبين وصفها بالخراب، ومن شواهد هذا النَّوع ما قاله ابن حزم في رثاء مدينة (قُرْطُبَة)[3]:

---

(١) محمَّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، د.ط، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، مادة (شمل).

(٢) ابن منظور، مرجع سابق، مادة (بدد).

(٣) لسان الدِّين ابن الخطيب السَّلماني، تاريخ إسبانيَّة الإسلاميَّة أو كتاب أعمال الأعلام في مَن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ط ٢، (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦م)، ١٠٧-١٠٨.

سَلَامٌ عَلَى دَارٍ رَحَلْنَا وَغُودِرَتْ خَلَاءً مِنَ الأَهْلِينَ مُوحِشَةً قَفْرَا
تَرَاهَا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ بَلْقَعًا وَلَا عَمَرَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَبْلَنَا دَهْرَا
فَيَا دَارُ لَمْ يُقْفِرْكِ مِنَّا اخْتِيَارُنَا وَلَو أَنَّنَا نَسْطِيعُ كُنْتِ لَنَا قَبْرَا
وَلَكِنَّ أَقْدَارًا مِنَ اللهِ أُنْفِذَتْ تُدَمِّرُنَا طَوعًا لِمَا حَلَّ أَوْ قَهْرَا

تَنْطِقُ هذه المقطوعة بالأسى والأسف على تلك الأعمال التَّخريبيَّة الَّتي قام بها جماعات من البربر والنَّصارى بمدينة (قُرْطُبَة)، فالشَّاعر يستهلُّ قصيدته بالسَّلام على داره، مقتفيًا أثر فحول الشُّعراء حينما يستفتحون بعض قصائدهم بالسَّلام على ديارهم أو الدُّعاء لها، ثمَّ أَخْبَرَ بأنَّ أهل تلك الدَّار رحلوا عنها وأضحت خَلاء منهم (رَحَلْنا وَغُودِرَتْ خَلَاءً مِنَ الأَهْلِينَ)، ونتيجة ذلك (مُوحِشَةً قَفْرَا).

وهذه مفارقة صوَّرتْ ما كان من حياة عامرة وما هو كائن من حياة موحشة، فهي ثنائيَّة ضدِّيَّة بين حياتين كما ترى، وهذه المفارقة بين الصُّورتين حتَّمت على الشَّاعر استذكار ما كان، ومقارنته بما هو كائن، فقال في البيت التَّالي:

تَرَاهَا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ بَلْقَعًا وَلَا عَمَرَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَبْلَنَا دَهْرَا

وإذ ما ذهبنا مسرعين، فتجاوزنا دلالات المفردات وما تعكسه من حزن وألم، وتجاوزنا كذلك الاقتباس من القرآن الكريم ودلالته في هذا المقام، فإنَّ كلَّ ما ذكره الشَّاعر في البيتين مشعر بأنَّ أهل هذه المدينة مذنبون، فقد تخلَّوا عنها وتركوها عرضة للوحشة والخراب، ثمَّ جاء البيت الثَّالث ــوهو شاهد المفارقة اللَّفظيَّةــ ليبيِّن أنَّ التخلِّي لم يكن باختيار أهلها، بل كانوا مجبرين لا حيلة لهم، فقال معتذرًا لها:

فَيَا دَارُ لَمْ يُقْفِرْكِ مِنَّا اخْتِيَارُنَا وَلَو أَنَّنَا نَسْطِيعُ كُنْتِ لَنَا قَبْرَ

فرتَّب الشَّاعر مضمون البيت الثَّالث وما يليه على مضمون البيتين اللَّذين سبقاه، والَّذي هيَّأ للشَّاعر هذا التَّرتيب تلك الفاء التي رتَّبت مضمون الاعتذار على مضمون ما حلَّ بالمدينة من دمار وخراب ترتيب المعطوف على المعطوف عليه.

وقد نادَى الشَّاعر الدَّار بحرف النِّداء (يا) وهي أمُّ حروفه[١]، وهو حرف اِسْتهلال يأتي لتنبيه المنادَى[٢]، وإذا كان ذلك كذلك، فإنَّ حرف النِّداء (يا) منسجم مع النَّظم الَّذي سبقه؛ ذلك أنَّ الشَّاعر كان مسترسلًا بأسلوب التَّكلِّم، وعندما نادَى الدَّار عدل إلى أسلوب المخاطبة، فَحَسُنَ تنبيه المخاطَب لمضمون الكلام التَّالي، وهو الاعتذار، وقد أدَّى حرف النِّداء تلك الوظيفة على أتمِّ ما يكون.

ثمَّ إنَّ حرف النِّداء (يا) موضوع لنداء البعيد على مذهب سيبويه[٣]، وهو مذهب له وجاهته من حيث إنَّ هناك اختلاف بين نداء القريب والبعيد من النَّاحية الصَّوتيَّة، ويكمن هذا الاختلاف "في الصَّائت الطَّويل (ا)، فقد جاءت هذه الأصوات [حروف نداء البعيد] متبوعة بالصَّائت الطَّويل (ا)، الَّذي يُوحي بالانفتاح الزَّماني والمكاني لما فيها من طاقة انفعاليَّة ممتدَّة تصل لنداء البعيد حقيقة أو مجازًا"[٤]، وهذا المجاز هو غاية الدَّرس البلاغي، ففيه تكمن المزايا واللَّطائف والنُّكتْ البلاغيَّة؛ ذلك أنَّ البلاغة معنيَّة بالبحث عن أسرار العدول عن الحقيقة إلى المجاز.

وعلى هذا، فهل جاءت (يا) في البيت السَّابق على حقيقتها أم أنَّ فيها عدولًا عن الحقيقة إلى المجاز؟ بمعنى: هل الشَّاعر نادَى القريب بحرف موضوع أصلًا لنداء البعيد من خلال تنزيل القريب منزلة البعيد؟

---

(١) أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني، معاني الحروف، تحقيق: عرفان سليم حسُّونة الدِّمشقي، (بيروت: المكتبة العصريَّة، ١٤٣٠ه=٢٠٠٩م)، ٧٠.

(٢) الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الدَّاني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدِّين قباوة ومحمَّد نديم فاضل، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٤١٣ه=١٩٩٢م)، ٣٥٤.

(٣) المرجع السَّابق.

(٤) عبير محمَّد هشام سعيد نجَّار، أسلوب النِّداء في العربيَّة: دراسة صوتيَّة، مجلَّة كليَّة التَّربية (القسم الأدبي) جامعة عين شمس، المجلَّد ١٨، العدد ١، (٢٠١٢م): ٢٩٧.

الظَّاهر أنَّ في حرف النِّداء عدولًا؛ فقد نزَّل الشَّاعر القريب منه منزلة البعيد عنه، نظرًا إلى الإحساس الدَّاخلي بفقدان المُنادَى؛ والَّذي يشهد على ذلك المقدِّمة الَّتي كتبها ابن حزم لقصيدته هذه، فقد قال: "وقفتُ على أَطلال منازِلنا، بحَوْمة بَلاط مُغِيث من الأَرباض الغربيَّة، ومنَازِلِ البرابرِ المُسْتَباحة عند مُعاوَدة (قُرْطُبَة). فرأَيْتهُا قد مَحَتْ رُسُومُهَا، وطمسَتْ أَعلامُها، وخفيَتْ معاهدها، وغيَّرها البلَى، فصارت صَحَاريَ مُجْدِبَةً بعد العِمْران ... وصدَّقتُ نفسي عن فناء تلك القصبة ... وحرَّكني للقول على نُبُوٍّ طبعي؛ فقلتُ: سَلَامٌ عَلَى دَارٍ رَحَلْنَا وَغُودِرَتْ ..."(١).

والنَّصُّ _هنا_ شاهد على أنَّ الشَّاعر قال قصيدته بين يدي مدينته، فكان من حقِّ ذلك نداؤها بحرف موضوع للقريب وليس للبعيد؛ ولكنَّهُ إحساس الشَّاعر _كما ذكرنا_ بفُقدان المدينة إلى غير رجعة، فنزَّل القريب منه منزلة البعيد عنه، واعدْ النَّظر في قوله: "وصدَّقتُ نفسي عن فناء تلك القصبة"(٢) لتدرك أنَّ القريب صار بعيدًا في نفس الشَّاعر وإنْ أَلْقَى قصيدته بين يديها.

وبعد الَّذي تقدَّم من دلالة حرفي: (الفاء) و(يا) تبيِّن لنا أنَّ الحروف تقوم "بدور مهم في بنية الجملة العربيَّة من جهة الدَّلالة على المعنى، أو التَّرابط والتَّماسك بين مفرداتها لتوضيح العلاقة بينها، ممَّا لا يمكن أن يؤدَّى بغيرها من أقسام الكلام"(٣)، وإذا أردتِّ مصداق ذلك انظر كيف رتَّبت (الفاء) كلامًا على كلام؟ بحيث كانت أداة ربط وتماسك بين كلامين، وانظر إلى حرف النِّداء (يا) كيف أبان عن المعنى الَّذي استبطنته دلالة النَّظم؟ بحيث نزَّلَ الشَّاعرُ المنادَى القريب منه منزلة البعيد عنه بناءً على ما أَحَسَّته نفسه.

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، مرجع سابق ، ١٠٦-١٠٧.

(٢) المرجع السَّابق، ١٠٧.

(٣) الصَّادق خليفة راشد، دور الحرف في أداء معنى الجملة، د. ط، (بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ١٩٩٦م)، ١٧٥.

ثمّ إنَّه نادَى الدَّار بصيغة النَّكرة المقصودة؛ فقال: (يَا دَارُ)،ذلك أنَّه قصد هذه الدَّار قصدًا من بين سائر الدِّيار، ومن أجل هذه القصديَّة تكتسب النَّكرة المقصودة التَّعريف؛ "لأنَّه يحدِّدها من بين النَّكرات"(١)، ومعلوم أنَّ النِّداء تنبيه للمنادَى وهذا يعني توجيه النِّداء إلى ذات عاقلة تَعِي تنبيه المنادِي، ولا يخفى أنَّ الدَّار في حقيقتها من جملة غير العقلاء لكنَّ النِّداء حوَّلها إلى ذات عاقلة من خلال تشخيص الدَّار على أنَّها إنسان يستأنس به، فناداه الشَّاعر وحاوره بل واعتذر له.

وهذا يعبِّر عن حبِّ الوطن الَّذي استولى على ابن حزم، وجعله يتزِّله مترلة العقلاء، وحبُّ الوطن عظيم يكفي في هذا الصَّدد أنَّ الإنسان يقنع بوطنه ولو كان يبابًا، ولذلك قال ابن عبَّاس: "لو قَنِع النَّاس بأرزاقهم قناعتَهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرِّزق"(٢)، والحديث عن الوطن قدره الإطناب ولكنَّ قول ابن عبَّاس أوجزه.

ونعود إلى دار ابن حزم، فالدَّار الَّتي ناديها هي موضع شاهد المفارقة، وذلك لأنَّ دلالة الدَّار اللُّغويَّة تعني "المَحَلُّ يجمع البناء والعرْصَة ... قال ابن جنِّي: هي من دار يدور لكثْرة حركات النَّاس فيها"(٣)، وعلى ضوء هذه الدَّلالة اللُّغويَّة للمفردة يظهر أنَّ البناء وحركة النَّاس شرط مهمٌّ في تسمية المكان بالدَّار.

ومن هذه الدَّلالة اللُّغويَّة لمفردة الدَّار يتَّضح مضمون المفارقة؛ وذلك لأنَّ الدَّار الَّتي ناديها ابن حزم لم تعد دارًا، فهي مكان أصبح "أوحش من أفواه السِّباع فاغرة، تُؤَذِّن بفناء الدُّنيا، وتُريكَ عواقبَ أهلها، وتُخبركَ عمّا يصير إليه كلُّ ما قد بقي ماثلًا فيها، وتُزهِّدُكَ فيها"(٤)، ويضيف ابن حزم في وصف مكان تلك الدَّار قائلًا:

---

(١) عبده الرَّاجحي، التَّطبيق النَّحوي، ط ١، (الرِّياض: مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، ١٤٢٠ه=١٩٩٩م)، ٢٧٩.

(٢) عمرو بن بحر الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، ط ٢، (بيروت: دار الرَّائد الأدبي، ١٤٠٢ه=١٩٨٢م) ١٠.

(٣) ابن منظور، مرجع سابق، مادة (دور).

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، مرجع سابق ، ١٠٨.

"وكرَّرتُ النَّظرَ، ورددْتٌ البصر، وكِدْتُ أُستطار حزنًا عليها، وتذكَّرتُ أيَّام نشْأَتي فيها، وصبابة لِدَاتي بها؛ مع كواعب غيد، إلى مثْلهِنَّ يصْبُو الحليم! ... وأرْعَيْتُ سَمعي صوتَ الصَّدى والبوم زاقيًا بها، بعد حركات تلك الجماعة المنصدعة بعرصاتها، الَّتي كان ليلها تبعًا لنهارها في انتشارها بسُكَّانها"[1]، بل كأنَّ هذه الدَّار لم تسكن من قبل، فقال:

كَأَنَّكِ لَمْ يَسْكُنْكِ غِيدٌ أَوَانِسٌ وَصيدُ رِجَالٍ أَشْبَهُوا الأَنْجُمَ الزَّهْرَا[2]

وإذا كانت الدَّار تطلق على المكان العامر، والدَّار هنا خالية وموحشة، فإنّنا نلحظ أنَّ في هذه اللّفظة مجازًا مرسلًا علاقته اعتبار ما كان، حيث يسمَّى الشَّيء بما كان عليه، وبهذا المجاز المرسل الَّذي سمَّى المكان الخراب الموحش دارًا تتجلَّى المفارقة وتتَّضح صورتها.

وظاهر أنَّ المنادى (الدَّار) هو مَن صعَّد مِن اتِّساع دائرة المفارقة الَّتي تبدو في مجمل الأبيات قائمة على العلاقة التَّضاديَّة بين الأمس واليوم، بين الماضي والحاضر، بين العمران والخراب، بين الأنس والوحشة، وقد ساعد أسلوب النِّداء بما تضمَّنه المنادى من مجاز مرسل على استحضار التَّضاد بين حاضر المكان وماضيه، كما كشفت المفارقة اللَّفظيَّة الَّتي تأسست _هنا_ على الدَّلالة اللُّغويَّة والمجاز المرسل، في كشف أسى الشَّاعر وأسفه على ما حلَّ بمدينة (قُرْطُبَة).

ومن صور المفارقة اللَّفظيَّة الَّتي تلبس لُبوس النِّداء، ما قاله أبو عمر بن المرابط في التَّحسُّر على الحميَّة الإسلاميَّة بين المسلمين، يقول متحسِّرًا على تلك الحميَّة[3]:

---

(١) المرجع السَّابق ، ١٠٧.

(٢) المرجع السّابق، ١٠٨.

(٣) ابن خلدون، مرجع سابق، ٢٦٣/٧ و٢٦٤.

يَا حَسْرَةً لِحَمِيَّةِ الإِسْلَامِ قَدْ خَمَدَتْ وَكَانَتْ قَبْل ذَا تَتَوقَّدِ[1]

يتحسَّر الشَّاعر على ضياع إحدى الخصال الإسلاميَّة الَّتي ـبها وبغيرهاـ ممَّا يجب أن يتَّصف بها المسلمون، مستنيرين بالأحاديث النَّبويَّة الَّتي تدعو إلى تعاون المسلمين واتِّحادهم، وهي أحاديث كثيرة، منها قوله ـعليه الصَّلاة والسَّلامـ: "المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضًا"[2].

بدأ الشَّاعر البيت بالنِّداء مستعملًا في ندائه (يا) الموضوعة لنداء البعيد، وكان من طبيعة النِّداء أن يكون المنادى ممَّن يعقل النِّداء حتَّى يتسنَّى له إجابته، غير أنَّه نادى الحسرة، وحقيقة الحسرة في اللُّغة أن يلحق الإنسان من النَّدم ما يصير به حسيرًا، وعلى ضوء حقيقة الحسرة في اللُّغة يتبيَّن أنَّ المنادى (الحسرة) ممَّا لا يعقل النِّداء، ومع هذا ناداها الشَّاعر وكأنَّها تعقل النِّداء وتستجيب له.

وما دفع الشَّاعر إلى هذا التَّوهم هو فرط ما هو فيه من ألم وحزن، فتخيَّل أنَّ الحسرة تسمع النِّداء وتجيب عليه، وهذا يكشف عن عُمْقِ حزنه وعِظَمِ ألمه على حال حميَّة الإسلام الَّتي خمدت، وممَّا يضاعف من درجات الحسرة والألم أنَّ الحميَّة الَّتي يتحسَّر عليها كانت قبل ذلك متوقِّدة مستعرة.

---

(١) في عجز البيت الرَّابع أكثر من رواية؛ فقد ورد في كتاب رثاء المدن في الشِّعر الأندلسي للزَّيَّات (ص٧٥١): **وكانت قبل ذات توقد**، دون أن يذكر مصدره أو سبب تغيير رواية العجز. ووردت بعبارة أخرى: **وخُصَّت قبل ذا بتوقُّد**، عزُوز زرقان، شعر الاستصراخ في الأندلس، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٨م)، ٦٠، ولم يذكر المصدر أو سبب التَّعديل على رواية العجز. أمَّا شكيب أرسلان فقد أسقط البيت كاملًا، شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، د. ط، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م)، ٨٢. وقد أثبتنا ـهناـ رواية ابن خلدون لكونه أقدمهم.

(٢) صحيح البخاري، ح ٦٠٢٦، كتاب الأدب، باب تَعاوُنِ المُؤْمِنِينَ بَعْضهِمْ بَعَضًا، ١٩٠٥/٤.

والمفارقة في البيت تتأسَّس على التَّضاد في وصف المتحسَّر عليه وهو ـهناـ حميَّة الإسلام، والحميَّة هي صفة يتَّصف بها الرَّجل إذا كان ذا غَضَبٍ وأَنَفَةٍ، "قال اللَّيث: حَمِيتُ من هذا الشَّيء أَحْمَى منه حَمِيَّةً، أي: أَنَفًا وَعَيْظًا. وإِنَّهُ لَرَجُلٌ حَمِيٌّ: لا يحتمل الضَّيمَ"(١)، فهذه الحميَّة الَّتي يتحسَّر عليها الشَّاعر خمدت وكانت قبل ذلك تتوقَّد نارها.

وظاهر أنَّ المفارقة مبنيَّة على التَّضاد بين الفعلين: (خمد) و(توقَّد)، فأفصح ذلك التَّضاد عن تناقض بين حالين: حال ماضية كانت فيه الحميَّة سمة تَسِمُ العلاقة الأخويَّة بين المسلمين، وحال حاضرة للحميَّة كشفت عن فساد وخراب واضطراب تلك العلاقة بين المسلمين.

وبذلك يظهر أنَّ المفارقة ـالمنبثقة من التَّضاد بين ما كان وما هو كائنـ أبانت عن التَّأزم النَّفسي عند الشَّاعر ومعاناته مع حاضر طبيعة العلاقة بين المسلمين، حدًّا جعله ينادي الحسرة فلم يبقَ غيرها ممَّا يمكن أن يناديه، فقال لها: يا حسرتي أقبلي فهذا أوانكِ.

(١) ابن منظور، مرجع سابق، مادة (حما).

المبحث الثَّاني: مفارقة الحكاية أو الإيهام

تُبنى هذه المفارقة على إيهام المخاطَب أو المتحدَّث إليه بشيء (ما)، وذلك بأن يحكي المتكلِّم أو أن ينقل تصوُّر الَّذي يتحدَّث عنه وكأنَّه يتبنَّى وجهة نظره، في حين هو في واقع الأمر يزدري هذا الرأي أو يريد أن يثبت ضدَّه، ويكون مقصد المتكلِّم من نقل وجهة نظر المتكلَّم عنه يكمن في غرض يسعى المتكلِّم إلى تحقيقه كأن يتهكَّم به، أو أنَّه يريد كسر أفق توقُّع الَّذي يستمع إليه، إلى غير ذلك من الأغراض الَّتي يمكن الوصول إليها عن طريق سياق الكلام ومن قرائن أحواله.

وممَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ حكاية زعم المخاطب أو المتحدَّث عنه في هذه المفارقة "له معنيان: أحدهما قريب توهم به المفارقة بصحَّة المعتقد، والآخر بعيد تنقض به المفارقة هذا المعتقد وتنفيه؛ لتثبت ضدَّه تمامًا"(١).

ومن صور هذه المفارقة الَّتي تتَّخذ من أسلوب الاستفهام شكلًا لها في شعر رثاء مدن الأندلس، ما قاله أحد شُعراء (طُلَيْطُلَة)، فقد نقل في إحدى مقاطع قصيدته بعضًا من النِّقاشات والمداولات الَّتي جرت بينهم أثناء سقوط مدينتهم، فقال ناقلًا عنهم وكأنَّه مؤيِّد لما ينقله عنهم(٢):

كَفَى حَزَنًا بِأَنَّ النَّاسَ قَالُوا
إِلَى أَيْنَ التَّحَوَّلُ والمَسِيرُ
أَنَتْرُكُ دُورَنَا وَنَفِرُّ عَنْهَا وَلِيسَ لَنَا وَرَاءَ البَحْرِ دُورُ
وَلَا ثَمَّ الضِّيَاعُ تَرُوقُ حُسْنًا
نُبَاكِرُهَا فَيُعْجِبُنَا البُكُورُ

(١) العبد، مرجع سابق، ١١١.

(٢) المقرّي، نفح الطِّيب، مرجع سابق، ٤/٤٨٥.

وَظِلٌّ وَارِفٌ وَخَرِيرُ مَاءٍ فَلَا قُرٌّ هُنَاكَ وَلَا حُرُورُ
وَيُؤْكَلُ مِنْ فَوَاكِهِهَا طَرِيٌّ
وَيُشْرَبُ مِنْ جَدَاوِلِهَا نَمِيرُ
يُؤَدَّى مَغْرَمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ
وَيُؤْخَذُ كَلَّ صَائِفَةٍ عُشُورُ
فَهُمْ أَحْمَى لِحُوزَتِنَا وَأَوْلَى
بِنَا وَهُمُ المَوَالِي وَالعَشِيرُ

يحاول الشَّاعر في هذه المقطوعة أن ينقل مناقشات أهل (طُلَيْطُلَة) أثناء سقوطها، فيبدأ بجملة خبريَّة تذيب مَن له قلب مِن حجارة، فيقول: يكفي لإدراك حجم الألم والحزن والأسى الَّذي يتملَّكَكَ على أهل (طُلَيْطُلَة) أنَّ تسمع إحدى صرخاتهم أثناء سقوط مدينتهم قائلين: إِلَى أَيْنَ التَّحَوَّلُ والمَسِيرُ؟ وكأنَّ الدُّنيا بأسرها ضاقت عليهم فلم يدروا إلى أيِّ اتِّجاه يسيرون أو إلى أيِّ دار يرحلون.

ثمَّ ينقل عنهم وهم يستفهمون استفهام المستنكر، (أَنَتْرُكُ دُورَنَا وَنَفِرُّ عَنْهَا ...؟)، وتتوالى بعد هذا الاستفهام جملة من المعطوفات الَّتي تستذكر جمال مدينتهم، وحسنها المبهر ببساتينها وحقولها ومائها وعمرانها، وأنَّه ليس هناك بقعة في الأرض تضاهي جمالها وخصوبة أرضها، فكيف لهم ــ والحال هذه ــ أن يفرِّطوا بها؟ أو كيف لهم أن يرحلوا عنها؟ فليس لهم إذن إلَّا أن يقبلوا بالرِّق، والعبوديَّة، ودفع الجزية للمحتلِّين الغاصبين، حتَّى يمكنهم البقاء في (طُلَيْطُلَة) ولا يرحلوا عنها.

والشَّاعر يبدو ــ من خلال أساليب الاستفهام في المقطوعة ــ أنَّه مؤيِّد لما قالوا ومقتنع بما توصَّلوا إليه من نتيجة تتمثَّل: بالبقاء في (طُلَيْطُلَة) مقابل دفع الجزية للنَّصارى، فهم ــ بحسب ما نقل عنهم ــ يقولون[1]:

(١) المقري، نفح الطِّيب، مرجع سابق، ٤/٤٨٥.

فَهُمْ أَحْمَى لِحُوزَتِنَا وَأَوْلَى بِنَا وَهُمُ المَوَالِي وَالعَشِيرُ

أي: إنَّ النَّصارى الغازين المغتصبين لأرضهم أولى من غيرهم في دفع الجزية لهم، وأنت تدرك بأنَّ الصِّراع في الأندلس كان محتدمًا بين فئتين: المسلمون أهل الأرض والنَّصارى المعتدين عليهم، وعلى هذا فهم يرون أنَّ النَّصارى أحمى لهم وأولى من غيرهم بالحماية ودفع الجزية.

غير أنَّ الشَّاعر ــفي حقيقة الأمرــ كان ناقمًا على هذا الرأي، وما نقله عنهم كان على سبيل السُّخط والغضب والتَّهكم بهم، وعلى سذاجة رأيهم، وما يؤكِّد أنَّه لا يوافق على ذلك الرأي قوله بعد هذه المقطوعة[1]:

لَقَدْ ذَهَبَ اليَقِينُ فَلا يَقِينٌ وَغَرَّ القَوْمَ بِاللهِ الغَرُورُ

فَلَا دِينٌ ولَا دُنْيَا وَلَكِنْ غَرُورٌ بِالمَعِيشَةِ مَا غَرُورُ

رَضُوا بِالرِّقِّ يَا للهِ مَاذَا رَآهُ وَمَا أَشَارَ بِهِ مُشِيرُ

فما قاله ــهناــ يؤكِّد أنَّه رافض ذاك الرأي، بل ويزدريه، ويعرِّض بالَّذين قالوه أو تبنَّوه، وعلى ضوء ما عرضناه آنفًا يتبَّين حجم التَّناقض بين الرأيين، وعُمْق المفارقة بينهما، ومن خلال ما تلحظه من تضاد بين المقطوعتين واللَّتين في جوف كلِّ مقطوعة منهما رأيًا يصطدم مع نظيره في المقطوعة الأخرى، تتأسَّس مفارقة الحكاية والإيهام، فهذا النَّوع من المفارقات "خطاب بالشَّيء عن اعتقاد المخاطب دون ما في الأمر نفسه، إنَّه حكاية زعم المخاطب أو المتحدَّث عنه في المفارقة، هنا تختار المفارقة من اللَّفظ ما يحكي هذا الزَّعم، ويوهم بأنَّه حقيقي ومقرَّر، في الوقت الَّذي تزدريه وتسخر منه"[2].

ويمكن أن نُلْحِق بهذا النَّوع من المفارقة ــالَّتي تعتمد طريقة الحكاية والإيهام استراتجيَّة لهاــ بعض التَّراكيب الَّتي يمكنها أن تصنع المفارقة، ومن ذلك تركيب

(١) المرجع السَّابق.

(٢) العبد، مرجع سابق، ١١١.

أسلوب النهي مع أسلوب الاستثناء، وذلك في مثل ما نجده في قول ابن شهيد في مطلع قصيدته الَّتي يرثي فيها مدينة (قُرْطُبَة)[1]:

مَا فِي الطُّلولِ مِنِ الأَحِبَّةِ مُخْبِرٌ فَمَنِ الَّذِي عَنْ حَالِهَا نَسْتَخْبِرُ

لَا تَسْأَلَنَّ سِوَى الفِرَاقِ فَإِنَّه يُنْبِيكَ عَنْهُمْ أَنْجَدُوا أم أَغْوَرُوا

يتكوَّن البيت الأوَّل من بنيتين أسلوبيَّتين: بنية النَّفي وبنية الاستفهام، فالشَّاعر في صدر البيت ينفي وجود مخبر من الأحبَّة في طلول مدينته المدمَّرة، ومن ثَمَّ يتعذر حصول الاستخبار عنها، ثمَّ يأتي في عجز البيت باستفهام يدلُّ على النَّفي، فيقول: مَنْ نستخبر عن حال (قُرْطُبَة)؟ فعزَّز الاستفهام ـهناـ مضمون النَّفي هناك.

وأوَّل ما بَدأ به في بنية (النَّفي) هو (ما) الَّتي تنفي الحال والاستقبال[2]، فهي أعمُّ من أختها (ليس) الَّتي هي للحال لا للاستقبال "على مذهب أكثر النَّحويِّين"[3]، وقد أدخل النَّفي على شبه الجملة (في الطُّلول)، ولكنَّ النَّفي ليس مسلَّطًا عليها، وإن كانت في حيِّزه، بل مسلَّط على المبتدأ المؤخَّر (مخبر)، فيكون أصل التركيب: ما مخبر في الطلول من الأحبة.

ثمَّ إنَّه نكَّر (مخبر)، فأفاد هذا التَّنكير ندرته، كما أنَّ حصر المخبر في تلك الطُّلول عزَّز تلك النُّدرة، هذا أوَّلًا، وثانيًا فإنَّ (المخبر) المطلوب مقيَّد بشبه جملة أخرى (من الأحبَّة)، وهذا قيد من شأنه حصر الدَّائرة في مساحة أضيق من القيد السَّابق (في الطُّلول) ما زاد في ندرته وعزَّته؛ إذ كلَّما زادت القيود أو المواصفات في أمر (ما) انحصرت دائرته في مساحة أضيق، وهذا بعكس تجريد الأمر أو الشَّيء من القيود.

---

(١) ابن شهيد، مرجع سابق، ١٠٩.

(٢) الرُّماني، مرجع سابق، ٦١.

(٣) المُرادي، مرجع سابق، ٤٩٩.

ثمَّ انظر إلى صيغة الإفراد في (مخبر) وما تشي به من معاني الحزن العميق، فهو يريد مُخبرًا واحدًا، ورغم هذا لا يجده، ما يعني أُفول شمس أحبَّته عن هذه المدينة المنكوبة.

ولا يخفى أنَّ بنية (النَّفي) بما تحمله من إشارات دهشة وتعجُّب مثيرة للمتلقِّي، فلا مناص من تتابع أسئلته، فيسأل مثلًا: (ما حلَّ بهم؟ أين ذهبوا؟ أأحياء أم أموات؟ ...إلخ)، لكنَّ الشَّاعر استفهم استفهام الحائر المندهش المتعجِّب فقال: (فمن الَّذي عن حالها نستخبر؟)، فدلَّ هذا الاستفهام على نفي مشوب بحيرة ودهشة وتعجُّب، ويمثل هذا الاستفهام البنية الثانية من هذا التركيب.

وقد ربط الشَّاعر بين هاتين البنيتين بحرف العطف (الفاء)، وهو حرف ــمن النَّاحية النَّحويَّةــ يدلُّ على التَّعقيب[1]،والتَّرتيب، غير أنَّه يمكن أن ننظر إلى دلالته نظرة بلاغيَّة تتجاوز الرؤية النَّحويَّة فنقول: إنَّ (الفاء) رتَّب الاستفهام ــبما يدلُّ عليه من نفي مشوب بحسرة وتعجُّبــ على النَّفي الَّذي افتتح به قصيدته، فأشار النَّظم ــهناــ إلى علمه أنَّه لا حبيب ولا مجيب ولا مخبر، فكان الاستفهام ــمتعاضدًا مع أسلوب النَّفيــ أوقع في معنى النَّفي والحسرة والفقد.

ثمَّ إنَّه استفهم ب(مَنْ) الَّتي يسأل بها عمَّا يعقل، وأَدْخَلَ الاستفهام على الاسم الموصول (الَّذي) فزاد بذلك تأكيد النَّفي؛ وبيان ذلك: أنَّ أصل التركيب (مَنْ الَّذي نستخبر عن حالها)، ف(مَنْ) في محل رفع مبتدأ، والاسم الموصول (الَّذي) خبر المبتدأ، والجملة الفعليَّة (نستخبر) هي جملة الصِّلة.

فغرض الشَّاعر من الاستفهام ــوهو النَّفيــ أبرز تأكيد مضمونه في صدر البيت من جهة دلالة الاستفهام ــهناــ على النَّفي؛ إذ إنَّ الجواب المقدَّر لهذا الاستفهام (لا أحد)، وهذا الجواب مدرك من نفي وجود (مخبر) في صدر البيت،

(١) المُرادي، مرجع سابق، ٦١.

فكأنَّ الشَّاعر نفى وجود (المخبر) مرَّتين، مرَّة بصورة مباشرة من خلال أسلوب (النَّفي)، ومرَّة بصورة غير مباشرة من خلال أسلوب (الاستفهام).

ولأنَّ بنية النَّفي ــكما ذكرنا آنفًاــ مثيرة لأسئلة عديدة عند المتلقِّي، فمن الطبيعي أنَّ الاستفهام السَّابق لا يزيل دهشة المتلقِّي وتعجُّبه، فلابدَّ أن يثير الأسئلة عن تلك المدينة وحالها، استأنف الشَّاعر في البيت التَّالي كلامًا أوهم المتلقِّي بأنَّ الشَّاعر سيرشده إلى مَن يمكنه أن يجيب على أسئلته، فقال مستخدمًا التعاضد الأسلوبي بين أسلوبي النَّهي والاستثناء[1]:

لَا تَسْأَلَنَّ سِوَى الفِرَاقِ فَإِنَّه يُنْبِيكَ عَنْهُمْ أَنْجَدُوا أم أَغْوَرُوا

وفي هذا البيت القائم على التَّعاضد الأسلوبي بين النَّهي والاستثناء، تأسَّست مفارقة الحكاية والإيهام، فالشَّاعر عندما قال: (لَا تَسْأَلَنَّ)، أوهم المتلقِّي بأنَّه سينهاه عن السُّؤال مطلقًا عن حال مدينة (قُرْطُبَة)، غير أنَّه بما أعقب أسلوب النَّهي من استثناء في قوله: (سِوَى) أوهم المتلقِّي بأنَّ الفرج سيأتي بالَّذي بعد (سوى)، ولكنَّه قال: (الفِرَاقِ فَإِنَّه يُنْبِيكَ عَنْهُمُ ...) وظاهر أنَّ ما أعقب (سوى) ليس من الأشياء الَّتي يمكن سؤالها، وبذلك يكون الشَّاعر كسر أفق توقُّع المتلقِّي، من حيث إنَّ الفراق ممَّا لا يمكن إدراكه حتَّى يمكن سؤاله، فكان المتلقي يتوقَّع أن يكون ما بعد (سوى) شخصًا يمكن إدراكه والحوار معه وبالتَّالي سؤاله.

وبهذا يتبيَّن أنَّ المفارقة ــهناــ تظهر في كسر أفق توقُّع المتلقِّي، و كسر أفق التَّوقعات فكرة ترتبط بمبدأ أساس هو "أنَّ المنطوقات تنشئ توقُّعات، وأنَّ التَّوقُّعات يمكن أن تنكسر"[2]، وكسر التَّوقُّعات في المفارقة هو إشارة إلى أنَّ هناك توقُّعات كسرت، وهذا صنيع يجعلنا نتأمل فيما وراء ذلك من مقاصد وأغراض يسعى الشَّاعر إلى إيصالها، وعليه نقول: إنَّه كان من المتوقَّع إذن بعد أن ذكر (سوى)، أن

---

(١) ابن شهيد، مرجع سابق، ١٠٩.

(٢) العبد، مرجع سابق، ٥٦.

يرشد إلى شخص يمكن أن يسأله المتلقِّي، ولكنَّه كسر هذا التَّوقُّع، وهذا الكسر كان منه بمثابة استراتيجيَّة تبيِّن أنَّ الخراب في مدينة (قُرْطُبَة) عمَّ، وأنَّ أهلها رحلوا عنها، فهي قفر خالي موحش، فليس هناك مَن يمكن سؤاله.

المبحث الثَّالث: مفارقة المفهوم أو التَّصوُّر

المفارقة ــوفق هذا النَّوع في تصنيف بعض الباحثين[1]ــ تنبني على عمليَّة التَّضاد بين موقفين أو مفهومين، على أن يكون أحد الموقفين أو المفهومين غريبًا ومحلَّ انتقاد، والتَّناقض الحاصل بينهما هو ما يشير إلى المفارقة.

وهذا النَّوع داخل في حدِّ المفارقة من جهة "أنَّ المفارقة أداة لفظيَّة تدلُّ على سلوك يختلف تمامًا عمَّا تعبِّر عنه حرفيًّا"[2]، وتكون الغاية من "عرض المفاهيم والتَّصوُّرات ــهناــ بطريق المفارقة هي النَّقد الأخلاقي والتَّهذيبي"[3].

وهذا النَّوع من المفارقة يظهر في تشكيلات لغويَّة متنوعَّة، ومن هذه التَّشكيلات اللُّغوية أسلوب الاستفهام، لاسيَّما الإنكاري والتَّعجُّبي، وقد وظَّف نفرٌ من الشُّعراء الَّذين رثوا مدن الأندلس الاستفهام الإنكاري في عرض التَّصورات أو المفاهيم ثمَّ نقدها، ومن شواهد هذا التَّشكيل اللُّغوي للمفارقة ما قاله أحد شُعراء (طُلَيْطُلَة) في انتقاد أوضاع أهلها، وهوانهم وجبنهم في مواجهة عدُّوهم، يقول[4]:

أَنَعْمَى عَنْ مَرَاشِدِنَا جَمِيعًا

وَمَا مِنْهُمُ إِلَّا بَصِيرُ

وَنَلْقَى وَاحِدًا وَيَفِرُّ جَمْعٌ

كَمَا عَنْ قَانِصٍ فَرَّت حَمِيرُ

وَلَو أَنَّا ثَبَتْنَا كَانَ خَيْرًا

وَلَكِنْ مَا لَنَا كَرَمٌ وَخَيْرُ

إِذَا لَمْ يَكِنْ صَبْرٌ جَمِيلٌ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ عَدَدٌ كَثِيرُ

---

(١) ينظر: العبد، مرجع سابق، ١٦٥.

(٢) المرجع السَّابق، ١٦٦.

(٣) المرجع السَّابق.

(٤) المقري، نفح الطِّيب، مرجع سابق، ٤٨٦/٤.

تكشف هذه المقطوعة عن واقع الجبهة الدَّاخليَّة الهشَّة والضَّعيفة في مدينة (طُلَيْطُلَة)، فهم على رغم إدراكهم لمواطن الرُّشد إلَّا أنَّهم يتعامون عنها، فليس من المعقول أنَّ مقاتلًا واحدًا من النَّصارى يفرُّ عنه جماعة من المسلمين، فمهما بلغ الضَّعف عند تلك الجماعة فلن يبلغ هذا الحدِّ من الذُّل والهوان، ولكنَّهم بلغوه، ثمَّ يقول لهم متحسِّرًا على تلك الأوضاع: لو ثبتنا عند لقائهم لكان ذلك الثَّبات خيرًا ونصرًا لنا، ولكن للأسف ليس لنا نصيب من ذلك الخير والنَّصر، فعددنا الكثير لا ينفع، إذا لم يكن هناك صبر على قتال الأعداء، وشراسة في قتالهم، وتحمُّل لمتاعب الحرب.

والمفارقة ــهناــ تتأسَّس على التَّناقض بين تصوُّرين أفصح عنهما مضمون الاستفهام الإنكاري في قوله:

أَنَعْمَى عَنْ مَرَاشِدِنَا جَمِيعًا وَمَا مِنْهُمُ إِلَّا بَصِيرُ

فهذا الاستفهام يشير إلى أنَّ هناك تصورين: تصوُّر الشَّاعر لما ينبغي أن يكون عليه أمرهم من إدراك لمواطن الرُّشد، لاسيَّما أنَّ تلك المواطن ظاهرة وبيِّنة، فلا يمكن ــوحال تلك المواطن بهذا الوضوح ونحن جميعًا من ذوي البصرــ أن يعمى عنها الجميع، فالكلُّ يبصرها ويدركها.

والتَّصوُّر الثَّاني: هو التَّصوُّر الَّذي يستنكره الشَّاعر، والَّذي وظَّف الاستفهام الإنكاري التَّوبيخي في سبيل انتقاده، وهو أن يعمى الجميع عن إبصار تلك المواطن.

وأنت تدرك بأنَّ التَّصوُّر الثَّاني هو التَّصوُّر الغريب وهو محل انتقاد الشَّاعر، وهو ــأيضًاــ ما يشير إلى المفارقة في بنية أسلوب الاستفهام الإنكاري، وعلى هذا يتحقَّق شرط مفارقة المفهوم أو التَّصوُّر في هذا الشَّاهد، وهو ما ذكروه بأن يكون أحد الموقفين أو المفهومين ــفي مفارقة المفهوم أو التَّصوُّرــ غريبًا ومحلَّ انتقاد، فيكون التَّناقض الحاصل بينهما هو ما يشير إلى المفارقة[1].

(١) العبد، مرجع سابق، ١٦٥.

ونشير إلى أنَّ غرض الشَّاعر من هذه المفارقة يكمن في استهجان مفهوم أو تصوَّر هذه الجماعة، وذلك في كونهم يبصرون مواطن الرُّشد إلَّا أنَّهم يتجنَّبونها، ولا نُغفل دور التَّعاضد الأسلوبي: بين الأسلوب الإنشائي المتمثِّل في أسلوب الاستفهام، والأسلوب الخبري المتمثِّل بأسلوب القصر في تأكيد مضمون الاستفهام الإنكاري، من جهة أنَّ الاستفهام يستنكر عليهم تجنُّب مواطن الرُّشد وأنَّ أسلوب القصر أكَّد على أنَّ هذا التَّجنب بإرادتهم فهم كما قال: (وَمَا مِنْهُمُ إِلَّا بَصِيرُ)، ومن هنا تتعمَّق المفارقة ويظهر التَّناقض ويبرز التَّضاد بين تصور الشَّاعر لما ينبغي أن يكون عليه الأمر، وبين تصوُّر أهل (طُلَيْطُلَة)، وهو ذلك التَّصوُّر الَّذي يمثل واقعهم المعاش من ذلٍّ وضعف وهوان.

هذا كان عن المفارقة الَّتي جاءت عن طريق الاستفهام الإنكاري، وأمَّا عن المفارقة الَّتي تأتي عن طرق الاستفهام التَّعجُّبي، فمن شواهدها ما قاله ابن العسَّال في رثاء مدينة (طُلَيْطُلَة)[1]:

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ شُـــدُّوا رِحَالَكُم ... فَـــمَا المقَامُ بِـــهَا إِلَّا مِنَ الغَلَطِ
السِّلْكُ يُنْثَرُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى ... سِلْكَ الجَزِيرَةِ مَنْثُورًا مِنَ الوَسَطِ
مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لَا يَأْمَنْ بَوَائِـــقَهُ ... كَيْفَ الحَيَاةُ مَعَ الحيَّاتِ فِي سَفَطِ

يحاول الشَّاعر في هذه المقطوعة أن ينصح قومه بالرَّحيل عن بلاد الأندلس، فيقول اتركوها وهاجروا منها إلى غيرها، فالدِّفاع عنها مسألة مكلفة وقضيَّة خاسرة؛ لأنَّ البلاد الَّتي يمكن الدِّفاع عنها هي تلك الَّتي تسقط أطرافها لا وسطها، في حين أنَّ هذه البلاد احتلَّت من الوسط، ولذلك يصعب الدِّفاع عنها، ف(طُلَيْطُلَة) تقع في وسط بلاد الأندلس _تقريبًا_ وهي الحدُّ الفاصل بينهم وبين مملكة (قَشْتَالَة) النصرانيَّة، ثمَّ يختم هذه المقطوعة باستفهام يفيد أنَّ الإقامة مع الثَّعابين والحيَّات في وعاء واحد مستحيلة، وكذلك هو حال العيش مع النَّصارى في منطقة واحدة مستحيل.

---

(١) المقري، أزهار الرِّياض، مرجع سابق، ١/٤٦.

ومفارقة المفهوم أو التَّصوُّر في المقطوعة السَّابقة تكمن في قوله: (كَيْفَ الحَيَاةُ مَعَ الحيَّاتِ فِي سَفَطِ)، فهذا الاستفهام يحمل تصوُّرين: تصوُّر يرى أنَّه يمكن للمسلمين البقاء في بلاد الأندلس مع وجود النَّصارى إلى جوارهم وأنَّه يمكن التَّعايش معهم، وتصوُّر آخر يرى أنَّه لا يمكن للمسلمين البقاء في هذه البلاد مع وجود النَّصارى فلا يمكن التَّعايش معهم؛ لأنَّه لا اطمئنان مع فئة لا أمان لها، والمفارقة حاصلة في مسألة التَّناقض بين التَّصوُّرين، واللَّذين كان أحدهما غريبًا ومحلَّ انتقاد من الشَّاعر.

فجاء الاستفهام ـهناـ بمثابة التَّعجُّب من أصحاب التَّصوُّر الأوَّل وانتقاد مفهومهم لطبيعة الأشياء، ولكي يثبت سذاجة تصوُّرهم وخطأ مفهومهم، لجأ إلى ضرب المثل مستثمرًا إيَّاه في استحالة الحياة وعيش المسلمين مع النَّصارى المعتدين في منطقة واحدة، فقال: إنَّ الحياة مع الحيَّات والثَّعابين في وعاء واحد غير ممكنة؛ لأنَّه ـحتمًاـ ستلدغ تلك الثعابين من يعيش معها في ذلك الوعاء.

فالمفارقة تتأسَّس ـهناـ على التَّعارض والتَّضاد والتَّناقض بين تصوُّرين، فجاء الاستفهام التَّعجُّبي على سبيل التَّحذير من سذاجة أصحاب التَّصوُّر الأوَّل، فالتَّضاد مبني "على أساس التَّعارض بين موقف الضَّحيَّة أو مفهومها للأشياء أو مسلكها، وهو عادة غريب وخاطئ ومثار انتقاد"[1]، بين موقف المنتقد لذلك المفهوم أو التَّصوُّر لطبيعة الأشياء الَّتي يراها، ويكون غرض المنتقد لمفهوم أو تصوُّر الضَّحيَّة غاية أخلاقيَّة تنويريَّة لما ينبغي أن يكون عليه الأمر.

ويمكن أن نقول بعبارة أخرى: إنَّ الاستفهام جاء معرِّيًا لقضيَّة تبدو خاسرة ـمن وجهة نظر الشَّاعرـ لدرجة السُّخف، فجاء المثل الَّذي ضربه في آخر شطر من المقطوعة، بمثابة التَّنبيه على سخف ذلك التَّصوُّر المناقض لتصوُّر الشَّاعر.

---

(١) العبد، مرجع سابق، ١٦٥.

خاتمة

قَامَتْ الدِّرَاسَةُ على محاولة رصد ملامح المفارقة الَّتي تظهر في بعض تشكيلات أساليب الإنشاء الطَّلبي، واخْتارت التَّطبيق على نماذج من شِعْر رثاء مدن الأندلس مخضعة تلك النَّماذج للتَّحليل البلاغي، وهَدَفَتْ إلى بيان وإبراز القيمة الفنيَّة والبلاغيَّة والجماليَّة لتلك الأساليب، واسْتَفَادَتْ من معطيات الدَّرس البلاغي لتحقيق ما هدفت إليه، وامْتَازَتْ بكونها اتَّخذت نموذجًا مكانيًّا _له إيحاءات تاريخيَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة ودينيَّة_ طَبَّقَتْ عليه خلاصة ما انتهى إليه دارسو الأساليب الطَّلبيَّة، واعْتَمَدَتْ على منهج حاول استقراء أساليب الإنشاء الطَّلبي في ذلك الشِّعر ثمَّ إخضاع ما استقرته للتَّحليل البلاغي ثمَّ استنباط ما فيها من ملامح تظهر فيها قسمات المفارقة، وجاءت الدِّراسة في مقدِّمة وثلاثة مباحث، فناقشت في المقدِّمة الجوانب النَّظريَّة للمفارقة وقيمتها الفنيَّة والبلاغيَّة، وناقشت في المبحث مفهوم المفارقة اللَّفظيَّة وفي المبحث الثَّاني ناقشت مفهوم مفارقة الحكاية أو الإيهام وأخيرًا ناقشت في المبحث الثَّالث مفهوم مفارقة المفهوم أو التَّصوُّر، وقد طبَّقت آليَّات تلك المصطلحات على نماذج مختارة من شعر رثاء مدن الأندلس وأسفرت الدِّراسة عن وجود ملامح في تشكيلات بعض الأساليب الإنشائيَّة تظهر فيها إيحاءات تقوم _في إيصال المعاني والأفكار_ على المفارقة استراتيجيَّة لها.

المصادر والمراجع

- البُخاري، محمَّد بن إسماعيل (١٤١٨ه=١٩٩٧م) صَحيح البُخاري، ط ٢، مراجعة وضبط وفهرسة: محمَّد علي القُطب وهشام البُخاري، بيروت: المكتبة العصريَّة.
- الجاحظ، عمرو بن بحر (١٤٠٢ه=١٩٨٢م) الحنين إلى الأوطان، ط ٢، بيروت: دار الرَّائد الأدبي.
- جاسم، محمَّد ونَّان (٢٠٠٠م) المفارقة في القصص الستيني العراقي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصريَّة، العراق.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرَّحمن (١٤١٢ه=١٩٩١م) أسرار البلاغة، قرأه وعلَّق عليه: محمود محمَّد شاكر، ط ١، ، جدِّة، دار المدني.
- ابن خلدون، عبد الرَّحمن بن محمَّد (١٤٢١ه=٢٠٠٠م) تاريخ ابن خلدون المسمَّى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهما من ذوي الشَّأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، د. ط، بيروت: دار الفكر.
- خليفة راشد، الصّادق (١٩٩٦م) دور الحرف في أداء معنى الجملة، د. ط، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.
- صالح، نوال (نوفمبر ٢٠١١م) مصطلح المفارقة في الوعي البلاغي العربي بين الحضور والغياب، مجلّة العلوم الإنسانيَّة بجامعة محمَّد خيضر بسكرة، العدد ٢٣.
- الرَّاجحي، عبده (١٤٢٠ه=١٩٩٩م) التّطبيق النّحويّ، ط ١، الرّياض: مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع.
- الرُّماني، أبو الحسن علي بن عيسى (١٤٣٠ه=٢٠٠٩م) معاني الحروف، تحقيق: عرفان سليم حسُّونة الدِّمشقي، د. ط، بيروت: المكتبة العصريَّة.
- الزَّيَّات، عبد الله محمَّد (١٩٩٠م) رثاء المدن في الشِّعر الأندلسي، ط ١، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.
- السَّلماني، لسان الدين ابن الخطيب (١٩٥٦م) تاريخ إسبانيَّة الإسلاميَّة أو كتاب أعمال الأعلام في مَن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، ط ٢، بيروت: دار المكشوف.

- الشَّافعي، محمَّد علي (٢٠٠٧م) المفارقة في التُّراث البلاغي: صورها وأحكامها، مجلَّة كليَّة اللُّغة العربيَّة في جامعة الأزهر بالمنصورة، المجلَّد ٥، العدد ٢٦.
- الشَّرقاوي، مروة محمود (١٤٣٧ه=٢٠١٥م) المفارقة والقناع في الشِّعر العربي المعاصر، ط ١، طنطا: دار النَّابغة.
- ابن شهيد، أحمد بن أبي مروان (د. ت) ديوان ابن شهيد، جمع وتحقيق: يعقوب زكي، راجعه: الدُّكتور محمود علي مكِّي، د.ط، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- العبد، محمَّد (١٤١٥ه=١٩٩٤م) المفارقة القرآنيَّة: دراسة في بنية الدَّلالة، ط ١، القاهرة: دار الفكر العربي.
- قاسم، سيزا أحمد (٢٠٠٦م) المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلَّة فصول، العدد ٦٨.
- المحمود، عمر عبد العزيز (١٤٣٣ه) تقنية المفارقة ومسافات التَّوتر، صحيفة الجزيرة الثَّقافيَّة، العدد ٣٦٤.
- المُرادي، الحسن بن قاسم (١٤١٣ه=١٩٩٢م) الجنى الدَّاني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدِّين قباوه ومحمَّد نديم فاضل، ط ١، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- المقرِّي، أحمد بن محمَّد:

أزهار الرِّياض في أخبار عيَّاض، تحقيق: مصطفى السَّقَّا وآخرون، د. ط، (١٣٥٨م=١٩٣٩م)، القاهرة: مطبعة لجنة التَّأليف والتَّرجمة والنَّشر.

نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب، تحقيق: إحسان عبَّاس، د. ط، (١٣٨٨ه=١٩٦٨م)، بيروت: دار صادر.

- ابن منظور، محمد بن مكرم (د. ت) لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، د. ط، القاهرة: دار المعارف.
- نجَّار، عبير محمَّد هشام سعيد (٢٠١٢م) أسلوب النِّداء في العربيّة: دراسة صوتيّة، مجلة كليّة التّربية (القسم الأدبيّ) جامعة عين شمس، المجلّد ١٨، العدد ١.